خواص التطور الصوتي والعوامل المؤثرة فيه

أ. زاوي عبد الرحمن
جامعة يحي فارس المدية–الجزائر

ملخص:

للصوت خواص كثيرة، فهو يسير ببطء وتدرج، فاختلاف الأصوات في جيل عما كانت عليه في الجيل السابق له مباشرة لا يكاد يتبينه إلا الراسخون في ملاحظة هذه الشؤون، ولكنه يظهر في صورة جلية إذا وازنا بين حالتيهما في جيلين تفصلهما مئات السنين، فلغتنا لا تكاد تختلف في أصواتها عن لغة آبائنا المباشرين، ولكنها تختلف اختلافا بينا في هذه الناحية عما كانت عليه في ألسنة أجدادنا في العصور الوسطى أو في العصور الحديثة

Abstract:

The sound has many properties, it progresses slowly and gradually, the phonological difference between a generation and a previous generation is hardly noticed except for those who observe those matters, but it appeart clearly if we compare the statue of sounds in two generations with interval of one hundred years. our language can't be disitinctive from, our previous descent but in this regard, it differs remakably from the past in the tongues of our ancestors in the middle ages and recent time..

أولا: خواص التطور الصوتي:

إن التطور الصوتي يحدث غالبا من تلقاء نفسه بطريق آلي لا دخل فيه للإرادة الإنسانية، فتحول صوت الثاء العربية إلى تاء، (ثلاثة، تلاتة) و(الذال) إلى (دال) (ذراع، دراع) والظاء إلى ضاد (الظل، الضل) والقاف إلى همزة (قلت، ألت) أو الجيم (قلت، جلت) جيم معطشة، وكذا انقراض الأصوات التي تلحق أواخر الكلمات للدلالة على إعرابها ووظائفها في الجمل، (كنت أحسبْ أن كتابْ محمدْ أحسنْ منْ كتابْ علي) كل ذلك وما آل إليه قد حدث من تلقاء نفسه بطريق آلي لا دخل فيه للتواضع أو إرادة المتكلمين، كما أن هذا التطور من الظواهر الجبرية، لأنه يخضع في سيره لقوانين صارمة، لا اختيار للإنسان فيها ولا يد لأحد على وقفها أو إعاقتها أو تغيير ما تؤدي إليه.

كما أن هذا التطور في غالب أحواله مقيد بالزمان والمكان فمعظمهم ظواهر التطور الصوتي يقتصر أثرها على بيئة معينة وعصر خاص، ولا نكاد نعثر على تطور صوتي لحق جميع اللغات الإنسانية في صورة واحدة، فتحول صوت القاف مثلا إلى همزة (قلت، ألت) لم يظهر إلا في بعض المناطق الناطقة بالعربية ومنذ عهد غير بعيد وكذلك نطق (الكاف، همزة) وكذا تحول صوت "A" الواقع في نهاية بعض الكلمات اللاتينية إلى صوت (E) لم يظهر إلا عند الفرنسيين ولم يبدأ أثره لديهم إلا في أثناء المدة المحصورة بين نهاية القرن الثامن وأوائل القرن الرابع عشر للميلاد.

كما أنه في التطور الصوتي إذا لحق صوتا معينا في بيئة ما ظهر أثره غالبا في جميع الكلمات المشتملة على هذا الصوت وعند جميع الأفراد الذين تكتنفهم هذه البيئة، فتحول القاف العربية مثلا إلى همزة قد ظهر أثره في جميع

الكلمات المشتملة على هذا الصوت عند جميع الأفراد، وكذا الحرف "ك" بمنطقة تلمسان فإنه ينطق همزة، فهذا الصوت قد عم جميع الكلمات التي فيها "كافا"...[1]، ومن هذا يظهر فساد كثير من النظريات القديمة، فليس صحيحا ما ذهب إليه بعض العلماء من أن تطور الأصوات يحدث نتيجة لأعمال فردية اختيارية تنتشر عن طريق التقليد والمحاكاة.[2]

وليس صحيحا ما كانت تقول به المدرسة الإنجليزية من عهد "سايس" "sayec" إلى عهد "سويت" sweet من أن التطور الصوتي يتجه باللغة نحو التهذيب والكمال، ولا ما ذهب إليه البعض أنه يتجه نحو إظهار العناصر الأساسية في الكلمة وتجريدها مما عسى أن يكون بها من أصوات لا تدعوا إليها كبير ضرورة، فيخفف بذلك من ثقلها ويزيدها تمييزا، وذلك أن اتجاهات كهذه لا يمكن أن تتحقق إلا في تطور اختياري مقصود تقوده الإرادة الإنسانية في سبيل الإصلاح، أما وقد ثبت أن التطور الصوتي تطور تلقائي آلي لا دخل فيه للإرادة الإنسانية فلا يتصور أن يتقيد في اتجاهه بالسبل التي تقول بها هذه النظريات، وأن موازنه بين حالة الكلمات في اللغة العربية الفصحى وما آلت إليه في اللغات العامية لأكبر دليل على ما نقول.

فمن الواضح أن هذا التطور لم يتجه نحو التهذيب والكمال، ولم يحقق زيادة في تمييز الكلمات، بل أدى إلى اللبس في وظيفة الكلمات ودلالاتها، وجرد اللغة مما بها من دقة وسمو، وهوى بها إلى منزلة وضيعة في التعبير،

---

[1] د/ علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، نهضة عصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط11، 2006، ص287.

[2] نفس المرجع، ص58.

وما حدث في اللغة العربية، حدث مثله في كثير من اللغات الإنسانية الراقية، فكثير من الكلمات اللاتينية مثلا كانت واضحة مميزة الأصوات ثم فقدت بعد تطورها هذه المميزات وأصبحت في حالة يكتنفها اللبس والإبهام، وليس بصحيح كذلك ما ذهب إليه البعض من أن التطور الصوتي يتجه نحو تسهيل النطق "وهو رأي لـ **ماكس مولر** max Muller و **وتني** Whitney وذلك أن هذا الاتجاه من قبيل الاتجاهات التي تقول بها النظريات السابقة، فهو مثلها لا يمكن أن يتحقق إلا في تطور اختياري مقصود تقوده الإرادة الإنسانية في سبيل الإصلاح.

أما وقد ثبت أن التطور الصوتي تطور تلقائي آلي لا دخل فيه للإرادة الإنسانية فلا يتصور أن يتقيد في اتجاهه بالخطة التي تقول بها هذه النظرية. لا شك أن الحالة التي تتطور إليها الأصوات في جيل ما تكون دائما أكثر من حالتها الأولى تلاؤما مع طبيعة أعضاء النطق واستعدادها عند أهل هذا الجيل.[1]

ولكن لفظها يتطلب من الأعمال الصوتية وحركات أعضاء النطق أكثر مما يتطلبه لفظ الكلمة القديمة، فلا يتحقق حينئذ الاقتصاد الذي تقول به هذه النظرية، ويظهر هذا مثلا بالموازنة بين الكلمة العربية "ماء" وما انتهت إليه في عامية القاهرة إذ أصبحت "ميَّهْ" وبين الكلمة العربية "ذا الوقت" وما انتهت إليه في عامية بعض المناطق المصرية إذ أصبحت "ولو جيتي". ونضيف إلى ما ذكرناه أنه لا عبرة بالتبدل إذا حدث في حادثة فردية خاصة كأن يكون ناشئا عن علة في نطق واحد من الناس أو عن خطأ في النطق يقع فيه بعضهم

[1] د. علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص289 وما بعدها.

ويكون جواب الناس عليه السخرية أو الانتقاص، وإنما العبرة المتبدل الذي يكون عاما في مجموعة من الناس كسكان بلد أو مدينة أو إقليم أو في طبقة من الطبقات الاجتماعية أو يظهر في جيل من الأجيال في عصر من عصور اللغة فيستدل من عمومه في جيل أو جماعة على أن سببا عاما وأن في الناس استعدادا لمثل هذا التبديل لسبب من الأسباب.[1]

ثانيا: عوامل التطور الصوتي:

لا يقصد بالتغير الصوتي أن تستحدث أصوات في الكلام لم يكن لها وجود من قبل، وإنما المقصود أن يبطل استعمال الأصوات في مكانها الأصلي، أو تنتقل من مخارجها وتتصل في مخارج أخرى. أو تفقد صفة من صفاتها.

إذ يرى بعض اللغويين أن اختلاف الجهاز الصوتي عند الأخلاف عنه عند الأسلاف هو السبب وراء اختلاف الأصوات الحديثة عن الأصوات القديمة في لغة ما، ويستدلون على ذلك ببعض القبائل البدائية التي تتزين نساؤها بغرز حلقة من المعدن في شفاههن فكان من أثر ذلك أن اختفى صوت "الفاء" من لغة هذه القبائل لأن النساء فقدن الدرة على نطقه وبالتالي لا يلقنه الأطفال.[2] لكن هذا لا يؤمن به البعض لأن الاختلاف الفسيولوجي الذي لم يبلغ حد التشويه لا يؤثر على نطق الأصوات اللغوية، وذلك لأن ما يؤثر على نوع هذه الأصوات إنما هو طريقه وضع الأعضاء الصوتية بعضها مع بعض. ويعد مصدر السيطرة على التنفس وضغط الهواء المندفع من الرئتين أهم العوامل في

[1] محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ص58.

[2] عاطف مدكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار الثقافة للنشر 1987م، ص272.

اختلاف قدرات الناس النطقية، ويثبت هذا أن معلم الأصوات يستطيع أن يعلم تلاميذه أي صوت في أي لغة بشيء من المران والشرح العلمي دون أن يصحب عضلات نطق التلاميذ أي تغير في تكوينها التشريحي.[1]

ونجد بعض اللغويين يذهبون إلى أن اختلاف الجهاز الصوتي عند الأخلاف عنه عند الأسلاف هو السبب وراء اختلاف الأصوات الحديثة عن الأصوات القديمة، كما ذهب آخرون إلى أن المناخ والظروف الجغرافية لها تأثير كبير على أصوات اللغة، فشدة الطبيعة أو ليونتها تنعكس على الناس فتطبعهم بطابعها، ويظهر أثر ذلك في الأصوات المنطوقة، ومن أشهر أصحاب هذا المذهب نجد (H.Collitz) فقد عزا تطور الأصوات الشديدة في اللغة الألمانية إلى نظائرها الرخوة إلى الطبيعة الجغرافية في بعض جهات ألمانيا، وقال أن الجهات الجبلية تميل إلى التخلص من أمثال b,d,g فتهمس أولا وتصبح p,t,k ثم تقلب هذه إلى نظائرها الرخوة، الفاء، الثاء، الهاء على الترتيب وذلك أن البيئة الجبلية تتطلب نشاطا كبيرا في عملية التنفس، ويتبع هذا الميل بالأصوات من الشدة إلى الرخاوة.[2]

ومن العلماء من يرجع التغير الصوتي في اللغة إلى سبب واحد أساسي، تشترك فيه جميع اللغات ولكن الأكثر يرجحون أن عدة أسباب قد اشتركت في نشوء هذا التغير ومن الصعب أن نؤكد أي هذه الأسباب كان العامل الأساسي في كل تطور من التطورات.[3] وقد ذكر اللغويون أسباب عدة

[1] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، الأنجلو ، ط04 ، 1999، ص233.

[2] المرجع السابق، ص237.

[3] إبراهيم أنيس، المرجع السابق، ص232.

لتغير الأصوات اللغوية، على أن التغير الصوتي لا يعزى إلى سبب بعينه وإنما تتضافر عدة عوامل على إحداث التغير ومن هذه الأسباب ما يأتي:

1- عوامل فسيولوجية:

وتتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق في التكوين الطبيعي لأعضاء النطق فانقسام المتكلمين باللغة الواحدة تحت تأثير هذه العوامل إلى جماعات متنوعة واختلاف هذه الجماعات بعضها عن بعض في شؤونها السياسية والاجتماعية.. وفيما يحيط بها من ظروف طبيعية وجغرافية، كل ذلك وما إليه يوجد اللغة عند كل جماعة منها وجهة تختلف عن وجهتها عن غيرها، ويرسم لتطورها في النواحي الصوتي والدلالية.. وغيرها منهجا يختلف عن منهج أخواتها. ولا تنفك مسافة الخلف تتسع بين اللهجات الناشئة عن هذا التعدد حتى تصبح كل لهجة منها لغة متميزة.[1]

ومن الاختلافات التي تقد أولا نجد الناحية المتعلقة بالصوت، فتختلف الأصوات (الحروف) التي تتألف منها الكلمة الواحدة، وتختلف طريقة النطق بها تبعا لاختلاف اللهجات، قد تختلف المعاني في بعض الكلمات، أما من ناحية القواعد (la grammaire) سواء ما يتعلق منها بالبنية (المورفولوجية) أو التنظيم فلا ينالها في المبدأ كثير من التغيير، ومثال ذلك اللهجات العامية التي انبثقت عن العربية بمختلف البلدان العربية كما هو الحال في المغرب العربي، فإنه لا يوجد بينها إلا فروق ضئيلة في نظام التكوين (تكوين الجملة) وتغيير البنية وقواعد الجمع والتأنيث والوصف... وما إلى ذلك، على حين أن مسافة

[1] عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص176.

الخلف بينها في الناحيتين الصوتية والدلالية قد بلغت حدا جعل بعضها شبه غريب على بعض.

أما بالنسبة لما ذكرناه أن البعض قالوا بأن اختلاف الجهاز الصوتي عند الإنسان يتفاوت بتفاوت الجنس مما ينتج عنه تغيير في الأصوات اللغوية، فإن هذا لا يقوم على دليل قوي، يدفعه الواقع، فالسود في فرنسا يتكلمون الفرنسية كما بتكلمها الفرنسي الأصلي [1]، خاصة وأن علم التشريح قد أثبت أن أعضاء النطق عند جميع الناس متحدة ولا يوجد أدنى فرق بينها من وجهة النظر التشريحية، فالحنجرة التي يتمتع بها المقرئ لا تتميز عن أية حنجرة أخرى والفرق يكمن في مستوى التحكم في عملية التنفس.

وفي هذا المجال نجد أن كلا من العالمان **دروزلت** و **هارمن بول** Herman.paut/ rousseloy قد قاما بتجارب كثيرة على أجهزة "الفونتيك" فتوصلا إلى نتيجة مفادها أن أعضاء نطقنا تختلف عما كانت عليه أعضاء نطق أبائنا الأولين من حيث استعدادها للنطق، وأي تغيير في الاستعداد يحدث تغييرا في الأصوات، (كالجيم المصرية) غير المعطشة مثلا وفي هذا يقول محمد المبارك أن ما دعاه بعضهم من تطور الجهاز الصوتي تطورا مطردا.[2]

وهنا نشير إلى رأي، وهوإن العربية التي ورثناها، والتي نعرف من أمرها الشيء الثابت الصحيح، لا تتعدى الإسلام في التاريخ الزمني كثيرا، معنى هذا أن العربية الممثلة في لغة التنزيل، هي العربية التي نقيم عليها البحث والدرس،

[1] عبد الصبور شاهين، فصول في علم اللغة العام، مكتبة دار العلوم، ط3، 1978، ص254.
[2] محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، ط4، 1970، ص56.

والعربية –ممثلة في لغة القرآن– لغة عالية سلخت من تاريخها مراحل طويلة، حتى انتهت إلى هذا الشكل من الكمال.

والبحث في القرآن وقراءاته يدلنا على أن لغة القرآن قد طبعت العربية بطابع واضح مبين وقضت بذلك على آثار اللهجات الإقليمية، والخلاصة أن هذه اللغة العالية قد ثبتت من أصول اللغة وقواعدها، وأنها التزمت الإعراب، الذي لم يكن شائعا ومستعملا على نحو ما التزمت به نصوص القرآن، معنى هذا أن العربية في لهجاتها المتعددة لم تكن متقيدة بهذه الضوابط، ولكن هذه اللغة هي التي جعلت الإعراب السمة الملازمة للعربية التي أريد لها أن تكون كذلك. فالعرب في أطراف الجزيرة قد تهيأ لهم أن يتاخموا أقواما غيرهم، فلم تسلم بذلك سليقتهم، ومن أجل ذلك حرص عمر رضي الله عنه على الأخذ بقراءة تعتمد على لغة قريش وإلى هذا كان يرمي عثمان بن عفان رضي الله عنه من جمعه القرآن ليكون المسلمون مجتمعين على قراءة واحدة فينبذوا ما كان عندهم مما هو مغاير لما اتفق عليه.

ولا يعدم الباحث أن يجد في كتب التفسير والقراءات وكتب الغريب، وكتب النحومن هذا الباب شيئا كثيرا من القراءات، ومرد ذلك أن الناس قد فطروا على أساليب في التعبير خاصة بهم، وبذلك قرأوا، وأن طائفة كبيرة من هذه القراءات الخاصة اعتبرت من شواذ القراءات والشواذ من القراءات هي ما خلا تلك التي انتشرت بواسطة القارئ المشهور **ابن مجاهد** (ت 322هـ) كقراءة ابن مسعود وقراءة أبي بن كعب واختيار الحسن البصري وأمثالهم، وهي تعد في

باب الشواذ.[1]، ومن أمثال هذه الشواذ التي لا تدل على اللهجات الدارجة الإقليمية ما جاء من شواذ سورة الفاتحة.

قرآ **أبو السواد الغنوي** "هياك"[2] والهاء المكسورة في الآية الخامسة "إياك نعبد" وقرأ عمرو بن فايد "إياك" بالتخفيف وقرأ جناح بن حبيش "نستعين" بكسر النون[3].

كما أنه من مزايا الكلمة العربية اتصفت بالتكافؤ والانسجام بين أجزائها في الحركات والأصوات، ومن أجل ذلك يؤتى بالهمزة التي يستعان بها على النطق بالساكن مكسورة أو مفتوحة، أو مضمومة، إذا كان الحرف الذي يلي الساكن مضموما مثل استنصر واعترف فتضم الهمزة، ليتماثل الصوت ويكون العمل فيهما على وجه واحد[4].

ولأن الكلمة العربية اتصفت بالتكافؤ والانسجام بين أجزائها في الحركات والأصوات، ومن أجل ذلك يؤتى بالهمزة التي يستعان بها على النطق بالساكن مكسورة أو مفتوحة، أو مضمومة إذا كان الحرف الذي يلي الساكن مضموما مثل استنصر واعترف فتضم الهمزة، ليتماثل الصوت ويكون العمل فيهما على وجه واحد[5] والذي أريد ملاحظته في هذا الباب هو القول بأن المرحلة السابقة لهذه العربية الفصيحة كانت تجيز الابتداء بالساكن، والذي يقوي هذا الافتراض.

---

[1] ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، (المقدمة)، نشره برجشتراسر، القاهرة، 1934.

[2] نفس المصدر، المقدمة.

[3] نفسه، المقدمة.

[4] سيبويه، الكتاب، المطبعة الأميرية، بولاق (1316هـ) ج2، ص62.

[5] نفس المصدر، ج2، ص272.

ولذا نجد أن فعل الأمر (الثلاثي) في العربية همزته همزة وصل والناطق المجيد لهذه البنية لا يحس بهذه الهمزة، فلسانه ينطلق بالضاد في كلمة اضرب (قبل أن ينطلق بشيء اسمه الوصل) وإجادة النطق تستدعي محو هذه الألف إطلاقا، وعلى هذا جاء نطق المغاربة، فهم ينطلقون بالساكن في أفعال الأمر الثلاثية ومن أجل ذلك فإن ما ندعوه بالنبر Acceut tonique يكون عندهم واقعا في نهاية الكلمة. وجود هذه الناحية ربما كان دليلا على الابتداء بالساكن في العربية التي بقت هذه المرحلة الفصيحة، كما يقوي هذا القول استساغة الانطلاق بالساكن في سائر اللغات السامية الأخرى، بل ربما كانت الآرامية السريانية أشد قبولا للبدء بالساكن من المتحرك، ومن أجل ذلك صارت هذه الناحية من ميزاتها الظاهرة.

2- الحالة النفسية: العوامل النفسية:

تتحكم الجوانب النفسية في عملية النطق اللغوي، فالغاضب قد تكون مخارج الحروف عنده متسارعة متتابعة، أي هو في حالة من التلفظ يتأثر فيها بوضعه النفسي، أما الإنسان في وضعه العادي فقد تكون مخارج الأصوات لديه أقل تسارعا وانضغاطا وتتابعا، منها في غضبه، وعلى سبيل المثال نجد أن بعض اللغات التي يغلب على مفرداتها كثرة المقاطع تعين مقاطعها المسموعة في توضيح مقاطعها المحذوفة.

إن المتغيرات اللغوية النفسية والاجتماعية قد تغلب على بيئة لغوية ما، فتصبح ظاهرة نفسية اجتماعية، ومثال ذلك أن تتصور في موقف تعجبي ما أن كان رجل مصري رآه لعبر بكذا، ولو رآه جزائري لعبر بطريقة ثانية... ولو فحصت هذه التغيرات لرأيت أن تعبير المصري قد يكون بطريقة الاستفهام

التعجبي، وقد تكون استجابة الجزائري للموقف نفسه من خلال تأكيد الاستفهام بإعادته...، إن هذه المتغيرات اللغوية منوطة بالحالة النفسية وكذا الحالة الاجتماعية، وهي رهينة بالزمن والتاريخ. ويرى آخرون أن تغير الصوت لدى شعب ما من شدة إلى رخاوة رهين بالحالة النفسية فحين يميل هذا الشعب إلى السرعة والاستقرار تميل أصوات لغته إلى الانتقال من الشدة إلى الرخاوة.[1]

ومن المعلوم أن المبدأ النفسي من حيث الاطمئنان إلى قدرة اللفظ على توصيل المعنى أو عدم توصيله يجعل الناس يتصرفون، ولنضرب مثلا على ذلك بكلمات فيها أصوات انفجارية فإن الأصوات الانفجارية تكون عرضة للخفاء عند سكونها كالكاف في بكر والدال في رعد، وبدر وبخاصة إذا تليت بساكن، كأن يوقف على الراء والدال، والراء في الكلمات السابقة، ولذا احتاج المرء إلى تحريك الصوت الانفجاري لإظهاره من جهة، وللتخلص من التقاء الساكنين –على جوازه في أواخر الكلمات عند الوقف– فيقال: بكر، أو بَكْر بتحريك الكاف، وهم يعودون عن ذلك في الوصل، فيقال: رأيت بكرا بتسكين الكاف لأنه أمن خفاء الصوت الانفجاري.[2]، وقد عبر **ابن جني** عن هذا بقوله: ويقولون في الوصل: هذا بكرا ومررت ببكرٍ فإذا وقفوا فمنهم من يقول هذا بكْ ومررت ببكْ.[3]

---

[1] إبراهيم أنيس، المرجع السابق، ص235.

[2] عمايرة إسماعيل، ظاهرة "بجد كفت" بين العربية واللغات السامية، دراسة مقارنة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد 31، 1986.

[3] ابن جني عثمان، المنصف شرح كتاب التصريف، ت إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مصر، 1954، ج1، 160.

ونضيف إلى ما ذكرنا من العلل والأسباب أنه لا عبرة بالتبدل إذا حدث في حادثة فردية خاصة، كأن يكون ناشئا عن علة في نطق واحد من الناس أو عن خطأ في النطق يقع فيه بعضهم ويكون جواب الناس عليه السخرية أو الانتقاص وإنما العبرة للتبدل الذي يكون عاما في مجموعة من الناس كسكان بلد أو مدينة أو إقليم.. أو في طبقة من الطبقات الاجتماعية أو يظهر في جيل من الأجيال في عصر من العصور اللغوية، فيستدل من عمومه في جيل أو جماعة على أن له سببا عاما وأن في الناس استعدادا لمثل هذا التبديل لسبب من الأسباب.[1]

3- العوامل البيئية والتطور الصوتي:

كشف البحث العلمي عن صلة اللغة بالإنسان وبيئته، فهي تظهر المجتمع الإنساني على حقيقته، وقد اهتم بموضوع اللغة العلماء المختصون في العصور الحديثة كما بحثه الأقدمون، فكتبوا فيه على الطريقة التي سلكوها في علومهم القديمة، على أن تقرأ غير قليل من غير ذوي الاختصاص في موضوعات اللغة قد بحث في الموضوع نفسه من خلال دراساتهم، ومن هؤلاء علماء الاجتماع وعلماء النفس والفلاسفة وآخرون وغيرهم وليس عجيبا فقد بحث الفلاسفة الأقدمون في هذا المجال.

وليست اللغة رابطة بين أعضاء مجتمع واحد بعينه، إنما هي عامل مهم للترابط بين جيل وجيل وانتقال الثقافات عبر العصور لا يتأتى إلا بهذه الوسيلة ومن أجل هذا كان على الباحثين أن يكتبوا تاريخا واضحا لكثير من

[1] محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ص58.

اللغات الحديثة بادئين بأقدم صورة للغة متعقبين التطور التاريخي لها، ولذلك استطعنا أن نقف اليوم على البحوث القيمة في هذا الموضوع.

ولقد كان **لمالينوفسكي**، العالم الأنثروبولوجي* فضل كبير في لفت الأنظار إلى مفهوم جديد في اللغة، فقد أدرك أن دراسته لن تصح دون معرفة الوظيفة التي تقوم بها اللغة في المجتمع وذلك حين كان يدرس بعض المجتمعات البدائية. وقرر **مالينوفسكي** بعد قيامه بهذه الدراسات في فترة المجتمعات، أن اللغة لم تكن وسيلة فقط للتفاهم والاتصال فهي حلقة في سلسلة النشاط الإنساني المنتظم وأنها جزء من السلوك الإنساني وهي ضرب من العمل، وليست أداة عاكسة للفكر.[1]

وهو يرى أن العمل الإنساني هو أصل مختلف الظواهر والنظم الاجتماعية، وتبرز نظريته في الصلة بين العمل واللغة ويرى أن مواقف العمل هي التي تعمل في تنويع اللغة، وهو يسجل في دراسته لمختلف قبائل أستراليا وجزر الهند... أن للصيادين لغة تختلف موسيقاها عن موسيقى لغة الزراعيين، والألفاظ تدور في سهولة وخفة مع العمل اليسير، وتتعقد بتعقد العمل. ومعلوم أن لكل زمن أو بيئة ذوقا خاصا في استعمال ألفاظ اللغة، وهذا **ابن خلدون** يعرض في مقدمته لموضوع العلوم اللسانية فيقول في نشأة لغة الأمصار من اللغة الأولى، وهو على معرفة نفسية بأثر اختلاف البيئات على الظواهر الاجتماعية التي منها اللغة، حيث قال: إن كلا منهم متوصل بلغته إلى تأدية

*ميدان الأنثروبولوجيا هو دراسة المجتمعات والثقافات الإنسانية وتاريخها ونتابع نموها وتطورها ودراسة الثقافات البشرية

[1] إبراهيم السمرائي، فقه اللغة المقارن، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، 1978، ص230.

مقصودة والإبانة عما في نفسه، وهذا معنى اللسان واللغة، وفقدان الإعراب ليس بضائر لهم.[1]

ويقول أيضا بعد عرضه لطائفة من فنون الشعر ي هذه الأمصار: "والكثير من المنتحلين للعلوم لهذا الجهد وخصوصا علم اللسان يستنكر هذه الفنون التي لهم إذا سمعها، ويمجد نظمهم إذا أنشدوا ويعتقد أن ذوقه إنما نما منها لاستهجانها وفقدان الإعراب منها وهذا إنما أتى من فقدان الملكة في لغتهم (ويقصد بذلك العلماء) فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم (ويقصد بذلك الشعوب)، لشهد له طبعه ببلاغتها وإن كان سلمينا من الآفات في فطرته ونظره، وإلا فالإعراب لا دخل له في البلاغة... فالدلالة بحسب ما يصطلح عليه أصل الملكة، فإذا عرف اصطلاح ملكة واشتهر، صحت الدلالة وإذا طابقت تلك الدلالة المقصود ومقتضى الحال صحت البلاغة ولا عبرة بقوانين النحاة في ذلك، وأساليب الشعر وفنونه موجودة في أشعارهم هذه ما عدا حركات الإعراب في أواخر الكلم، فإن غالب كلماتهم موقوفة الآخر"[2].

كما أن انتقال الأمة من البداوة إلى الحضارة يهذب لغتها ويسمو بأساليبها، ويوسع نطاقها، ويزيل ما عسى أن يكون بها من خشونة ويكسبها مرونة في التعبير والدلالة.[3]

وإن موازنة بين حالة اللغة العربية في عهد البداوة قبل الإسلام وحالتها في عهد حضارتهم الإسلامية أو بين ما كانت عليه عند أهل البادية في عصر

---

[1] ابن خلدون (عبد الرحمان)، المقدمة، الطبعة مصر بدون تاريخ ص493.

[2] المصدر السابق، ص513.

[3] د. عبد الواحد وافي، علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص258.

ما وما كانت عليه في الحضر في العصر نفسه، لأصدق برهان على ذلك، وأن **البدوي** الذي لم يلهمه شيطانه في مدحه للأمير أحسن: أنت كالكلب في حفاظك للعهد وكالتيس في قراع الخطوب

قد استطاعت قريحته بعد أن هذبتها حضارة بغداد أن تجود بمثل قوله:

عيون المهابين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وما يحدث بين حضارة الأمة ولغتها من توافق وانسجام، يحدث مثله بين لغتها ومظاهر بيئتها الجغرافية، فجميع خصائص الإقليم الطبيعية تنطبع في لغة سكانها، ومن أجل ذلك نشأت فروق كبيرة في مختلف مظاهر اللغة بين سكان المناطق الجبلية وسكان الصحراء وسكان الأودية وبين سكان المناطق الشمالية والوسطى والجنوبية، ومن ثم كذلك نشأت فروق غير يسيرة بين الفصيلة اللغوية الواحدة بل بين لهجات اللغة الواحدة، ومن أجل ذلك أيضا غزرت في كل لغة المفردات التي تدور حول مظاهر بيئتها الجغرافية، ودقت دلالاتها، وانبثت في شتى فنون القول، ومن أجل ذلك أيضا كان قسط كبير من مادة الخيال والتشبيه في كل لغة مستمدا من مظاهر البيئة وما اختصت به طبيعة البلاد، ومن أجل ذلك أيضا تمثل في أسلوب اللغة وفنونها الأدبية ما تختص به بيئتها الطبيعية من تلبد أو صفاء، وقبح أو جمال وصخب أو هدوء، وتنوع أو اطراد، وتقلب أو ثبات، وما ينبعث عنها من رخاوة أو قوة وخمول أو نشاط وخشونة أو نعيم، ولهذا كله يستطيع الباحث معرفة البيئة الأولى التي نشأت فيها لغة ما على ضوء مفردات هذه اللغة وغزارتها في بعض النواحي وجد بها في نواح أخرى وما تجنح إليه أساليبها ومادتها في الخيال والتشبيه وخواص آدابها... وما إلى ذلك. ومثال ذلك ما في الفصيلة السامية: ففي كل

لغة منها تتمثل حالة البيئة التي سكانها الناطقون بها، فالآرامية التي نشأت في الشمال جافة الألفاظ قليلة المفردات، ثقيلة التراكيب، مضطربة القواعد، لا تكاد تواتي الأساليب الشعرية الراقية، والعربية التي نشأت في الجنوب أعذب اللغات السامية ألفاظا، وأغناها مفردات، وأدقها قواعد، وأكثرها مرونة واتساعا لمختلف فنون القول.

4- قوانين التبدل الصوتي:

إذا نظرنا في الأصوات أو الحروف في لغة من اللغات، ونجدها معرضة للتبدل الصوتي الطارئ، كانقلاب النون الساكنة قبل الباء ميما في التلفظ في اللغة العربية، وإدغامها فيما بعدها إذا كانت ساكنة وكان ما بعدها أحد الحروف الستة (يرملون)، أو للتبدل المستمر الذي أدى إلى إبدال صوت بصوت آخر كإبدال القاف العربية في بعض اللهجات إلى همزة أو ثاء تاء والذال دالا، ومثل هذا ما حدث في اللاتينية حين تفرعت إلى عدة لغات أوروبية.

إن هذه التبدلات والتطور الصوتي لا بد وأنه خاضع لقوانين تنظمه لكن هل هذه القوانين هي منظمة وهل هي خاصة بلغة دون أخرى...؟

إن وجود هذا النظام أظهر للباحث في اللغة الواحدة وهو كذلك ظاهر ظهورا دون ذلك في اللغات المتقاربة والتي ترجع إلى أصل واحد، ومثال ذلك تبديل الكاف في الفرنسية شينا كما رأينا ذلك سابقا، ولكن قوانين التبدل الصوتي حين نجدها ونستخرجها ليست في عمومها واطرادها كالقوانين الطبيعية التي تنطبق على المادة ذلك أنها ليست متولدة عن طبيعة الأشياء بالضرورة وإنما هي في أكثر أحوالها نتيجة اتفاقات ومصادفات ليس من الممكن التنبؤ

عن وقوعها. وقد يكون التبدل واقعا ن عصر دون عصر وفي جيل دون جيل فإن كثيرا من الأحرف العربية ولا سيما في بعض البيئات عادت إلى لفظها القديم الفصيح.

ومن الواجب التمييز بين التبدل الناشئ عن أسباب صوتية خالصة والناشئ عن تطور لتلفظ الحرف من عصر إلى آخر والتبدل الناجم عن سبب خارجي كالدين والاقتباس من لغة أخرى أو التقليد لبيئة غير بيئة المتكلم، ومما يلاحظ في قوانين التبدل الصوتي أنها لا تخلوا من استثناءات خلافا للقوانين الطبيعية فكل ذال في الفصحى قلبت دالا في العامية في بعض المناطق العربية قد تقلب زايا في مناطق أخرى.

وما يحدث في اللغة من تبدل صوتي يكون في فترة زمنية طويلة، وأن هذا التطور لا يسير دائما نحو اليسر والسهولة دائما بل قد يكون العكس، وعلى هذا فإن كل لغة من اللغات تجتمع فيها عوامل مختلفة وظروف خاصة تسبب تبدل بعض أصواتها في بعض العصور والأمكنة والأصول، وتنشأ عنها آثار متنوعة في مجال الأصوات يحتاج البحث فيها وفي أسبابها وقوانينها إلى كثير من الدقة والبحث والتحليل.

1. مبدأ الاقتصاد اللغوي:

تعتبر هذه النظرية أن الإنسان في نطقه للأصوات اللغوية، يميل إلى الاقتصاد في المجهود العضلي، وأنه يلتمس أسهل السبل لإيصال المعاني إلى المستمعين.

هذا ما ذهب إليه عدد من العلماء وفي هذا يقول **د.إبراهيم أنيس** "فالعملية إذن لاشعورية وهي لهذا بعد تكررها تترك أثرا في تطور كثير من أصوات

اللغات كما أنها ليست عملية ذات أثر سريع، بل تم في أطوار من اللغة حتى يظهر أثرها واضحا جليا بعد أجيال"[1]، كما أشار النحاة إلى هذه النظرية عندما صنفوا الحركات (الفتحة والضمة والكسرة) إلى خفيفة وثقيلة، فالخفيفة الفتحة والثقيلة الضمة الكسرة ووصفوا الحروف بالخفة كالحروف الشفوية والحروف الثقيلة كالهمزة والهاء والعين.

وقد يؤيد هذه النظرية ذلك التطور الذي حدث في بعض الأصوات الرخوة للغة العربية كالذال والثاء والظاء، إذ أصبحت في لغة الكلام أصواتا شديدة، هي الدال والتاء والضاد، لأنه يكون أسهل على المرء وهو يجري بأقصى سرعته أن يصطدم بحائط أمامه من أن يحاول الوقوف قبل الحائط بمسافة قصيرة، فكذلك اللسان قد يسهل عليه الاصطدام بالحنك، والالتقاء به التقاء محكما ينحبس معه النفس وهو ما يكون مع الأصوات الشديدة، من أن تقف حركته مسافة قصيرة من الحنك يكون بينها مجرى يتسرب منه الهواء كما يحدث في الأصوات الرخوة.[2]، ونجد من الدارسين من يدحض هذه النظرية ذلك أن هذا الاتجاه هومن قبيل الاتجاهات التي تقول بها النظريات التي تقول بأن هذا لا يحدث إلا في التطور الاختياري المقصود الذي تقوده الإرادة الإنسانية في سبيل الإصلاح أما وقد ثبت التطور الصوتي تطور تلقائي آلي لا دخل للإرادة الإنسانية فلا يتصور أن يتقيد في اتجاهه بالخطة التي تقول بها هذه النظرية.

[1] أنظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص236.

[2] انظر: المرجع السابق، ص237.

حقا أن الحالة التي تتطور إليها الأصوات في جيل ما تكون دائما أكثر من حالتها الأولى تلاؤما مع طبيعة أعضاء النطق واستعدادها عند أهل هذا الجيل[1]، ولكن لفظها قد يتطلب من الأعمال الصوتية وحركات أعضاء النطق أكثر مما يتطلبه لفظ الكلمة القديمة، فلا يتحقق حينئذ الاقتصاد الذي تقول به هذه النظرية. ويظهر هذا مثلا في الموازنة بين الكلمة العربية (ماء) وما انتهت إليه في عامية القاهرة إذ أصبحت (مَيَّهْ) وبين الكلمة العربية "ذا الوقت" وما انتهت إليه في عامية بعض المقاطعات المصرية إذ أصبحت "دلوجتي".

وهذا ما يؤيده كل من العالمان مكس مولر Max moller و وتني Whitney[2]

هذا ويجب أن ينظر إلى هذه النظرية لا على أنها العامل الوحيد في تطور الأصوات اللغوية بل على أنها قد تكون أحد القوانين التي تضبط التطور الصوتي، لأن هذا التطور في الحقيقة هو أساس ونتيجة لعوامل عديدة ذكرناها سابقا...

2. نظرية الشيوع:

نادى بهذه النظرية فيلهلم تومسان Vilhelmetomasen، وهي تقرر أن الأصوات التي يشيع تداولها في الاستعمال تكون أكثر تعرضا للتطور من غيرها.

وقد كان القدماء من علماء اللغة العرب يذهبون إلى هذا الرأي وإن كانت محاولاتهم قليلة في هذا الشأن من أجل إبرازه إلا من بعض الإشارات في

---

[1] علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص288.

[2]. Max muller. Et witney Principe d'économie. V. dauzat: philosophie du langage. Loi du mondre effort Page 166.. P117.

كتاباتهم، فالصوت اللغوي إذا شاع استعماله في الكلام، كان عرضة لظواهر لغوية، كان القدماء يسمونها أحيانا إبدالا، وفي بعض الأحيان يسمونها إدغاما، وقد يتعرض الصوت الكثير الشيوع إلى السقوط من الكلام.

فظاهرة كالإعلال والتي هي تحول اللام والنون والميم إلى ياء أو واو، وهذا لا يعني أن كل لام أو نون أو ميم قد تتحول إلى ياء أو واو لأن هذا يجعل اللغة خالية من اللامات والياءات والميمات وهو ما يخالف الواقع، وإنما هناك ظروف خاصة ومواضع خاصة في بعض الكلمات، وتلك العوامل الخاصة تكمن في كون الصوت يتميز بالنبر أو لا يتميز أو يمتاز بالطول أو القصر. و السؤال المطروح هو هل جاء في البحوث القديمة أن الواو والياء كانتا في الأصل لاما أو نونا أو ميما؟ هذا السؤال يجعلنا ننقب في المعاجم العربية عن ألفاظ اشترك معناها ولم يختلف لفظها إلا أننا نجد مكان الياء أو الواومنها لاما أو نونا أو ميما، ومثال ذلك: جملة: نشر الخشبة بالميشار إذا نشرها بالمنشار

ونقول: الوقص بمعنى النقص واللكز بمعنى الوكز...

من هنا نتبين أن اللام والميم تعد من الناحية الصوتية أشباها لأصوات اللين وإلى أن الواو والياء أنصاف لأصوات اللين، ولقد تفطن العلماء القدامى في العربية إلى تعليلها تعليلا منطقيا يظهر لنا هذا من خلال ما ذكره ابن جني في كتابه سر صناعة الإعراب: "إنهم أدغموا النون في الميم لاشتراكها في الغنة والهواء في الفم، ثم إنهم حملوا الواو في هذا على الميم فأدغموا فيها النون لأن الواو ضارعت الميم بأنهما من الشفة وإن لم تكن النون من الشفة، ثم إنهم

حملوا الياء على الواو في هذا لأنها ضارعتها في المد وإن لم تكن معها من الشفة، فأجازوا إدغام النون في الياء".[1]

وذكر **ابن جني** أيضا: "إن النون شبها بحروف اللين قويا لأشياء منها الغنة التي في النون كاللين الذي في حروف اللين، ومنها اجتماعها في الزيادة معهن ومعاقبتها لهن في الموضع من المثال الواحد، وكذلك حذفت النون في لم يك كما حذفهن –أي حروف اللين– كذلك في نحو غزا القوم وجعلوها أيضا في الرفع نحو يقومان ويقومون. ومن هنا نتبين أن التطور الصوتي هومن أهم عوامل التطور اللغوي وأن نظريتا الشيوع والسهولة من بين النظريات الأكثر تأثيرا في هذا التطور[2].

التغيرات الصوتية في السياق: من أهم ما يتعرض له الصوت اللغوي في سياق الكلام تلك الظواهر التي يسمونها (ظواهر الدمج) ومن أهمها ما يأتي:

أ- **الانتقال الديناميكي:**

عندما ننطق تقطيعة كلامية مثل: (ذاهبة) أو (ما– إن لقيه) أو (في ما – إن مكناكم– فيه) أو ما يشبهها... فإننا نحس –وخاصة– عندما يكون النطق سريعا غير متأن فيه، والنبر غير واضح: أن أصوات التقطيعة قد اندمج بعضها في بعض بصورة ضيعت حدود الكلمات، وجعلت التقطيعة تبدو في صورة تقييم كلمي آخر. فكأن المثال الأول (ذا–هبة) صار في النطق كلمة واحدة (ذاهبة) والمثال الثاني (ما–إن لقيه) صار كلمتين هما (ماءِ–لقيه) كما

[1] ابن جني، سر صناعة الإعراب.

[2] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص242.

صار الثالث (ما–إن مكناكم–فيه) ثلاثة كلم هي (ماء–مكناكم–فيه) بدلا من أربع.

ومعنى هذا أن صوتا –أو أكثر– من كلمة انتقل ديناميكيا إلى كلمة أخرى، فالفتحة الطويلة (ألف المد) في كلمة (ذا) التي كانت تعد نهاية لكلمة، صارت وكأنها حركة داخلية في كلمة أخرى جديدة هي كلمة (ذاهبة) من الذهاب وهي مؤنث (ذاهب).

و النون التي كانت تمثل النهاية لكلمة (إن) في المثال الثاني والثالث ظهرت وكأنها مجرد تنوين في نهاية كلمة جديدة هي (ماءٍ). ويمكن لمن تتبع صور النطق في العربية أن يحصل على أمثلة كثيرة لهذه الظاهرة التي يسميها علماء الصوتيات (الانتقال الديناميكي) من (بادئ) أو (مبتدأ به) إلى (خاتم) أو (مختتم به) وقد تحوله في ظروف أخرى من (منته به) في كلمة إلى صورة يبدو فيها (متوسط) في كلمة أخرى وهكذا. ولا شك أن الانتقال الديناميكي له أثره في اللغة وخاصة عند غير أبناء هذه اللغة، ومن ثم فإننا في حاجة إلى دراسة ومعرفة آثاره في لغتنا العربية، وبخاصة في أداء هذه اللغة وصور نطقها عبر العصور.

ب–التضعيف:

كثيرا ما يلتقي صوتان متماثلان في التقطيعة الكلامية، يقع أحدهما –مثلا– في نهاية كلمة لغوية، ويقع الآخر في بداية كلمة أخرى، وهنا لا يسع المتكلم إلا أن ينطق هذين الصوتين بصورة حركية مشتركة، عبر عنها القدماء بقولهم: (فيصيران حرفا واحدا مشددا يرتفع اللسان عند النطق بهما ارتفاعة واحدة)[1]

[1] محمد مكي نصر، نهاية القول المفيد في علم التجويد، القاهرة، 1349هـ، ص104.

فنقول مثلا: (لم يقف فكري على حقيقة الموضوع)أو (اضرب بعصاك). فتضعف الفاء في المثال الأول (يقف فكري) و(الباء) في المثال الثاني (اضرب بعصاك) ولو لم يلتقي الصوتان في تقطيعة كلامية واحدة ما حدث هذا الازدواج أو (التضعيف).

فالتضعيف هنا ظاهرة صوتية سياقية، وهو يدخل فيما سماه القدماء من علماء العربية (الإدغام). وتحدث هذه الظاهرة كلما تهيأ هذا اللقاء بين صوتين المتماثلين سواء أكان هذا التماثل أصليا أم نتيجة لتغير صوتي سياقي كما سيأتي[1].

ت- التقصير أو التخفيض:

ومن الظواهر المهمة التي يتعرض لها الصوت –أيضا– في السياق تقصيره أو تخفيض زمن نطقه وتقليله، مراعاة لنظام معين من نظم اللغة، أو تحقيقا لاتجاه من اتجاهات التكلم.

فإذا نطقنا مثلا كلمة –كتبوا– بضمة طويلة (واو المد) عندما تكون مفردة، أي معزولة عن السياق، أما عندما ننطقها في صيغة الوصل في مثل التقطيعة الكلامية (كتبوا الدرس) فإننا نلاحظ: تخفيض تلك الضمة الطويلة، وتقليل زمنها، بحيث تبدو وكأنها (ضمة قصيرة) والضمير (أنا) ينطق في صيغة المفردة أو القاموسية، أو عند السرد مختوما بالفتحة الطويلة (ألف المد) في المقطع (نا) ولكنه عندما يقع في سياق مثل (أنا الكاتب) فإننا نخفض زمن

[1] ا لحديث عن المماثلة.

الفتحة الطويلة، وننطقها في صورة الفتحة القصيرة كقوله تعالى:﴿**أنا أحي وأميت**﴾[1].

وقوله عز شأنه: ﴿**أَنَا آتِيكَ بِهِ**﴾[2] ومثل ذلك يمكن أن يقال عن (الكسرة الطويلة) و(الضمة الطويلة) في نحو (القاضي) أو (القاضي الفاضل) وفي نحو (يَرْجُو) و(يرجُو اللَّهَ).

فالسياق في كل هذه الأمثلة يقتضي تخفيض الحركة الطويلة وتقصيرها، وقد يخفض الصوت الصامت أيضا في السياق ولعل ظاهرة (إخفاء النون) في سياقات معينة –وضحها علماء التجويد– من أوضح الأمثلة على ذلك. ومن الملاحظ أن بعض الأصوات الصامتة الطويلة تنخفض أحيانا كما في مثل (مستمر) بتشديد الراء، عندما ننطق (مستمرْ) براء واحدة.

وقد تنبه علماء التجويد إلى ذلك التخفيض، وحذروا من حدوثه في مثل (مستقر) و(مستمر) للمحافظة على الراء المشددة.

الحذف: كما قد يقتضي السياق –أحيانا– تخفيض الأصوات وتقصيرها، وفي أخرى حذفها من الكلام، ولذلك أمثلة كثيرة في العربية منها: حذف (التاء وحركتها) في مثل قوله تعالى:﴿**ولا تنابزوا بالألقاب**﴾[3]. وقوله صلى الله عليه

---

[1] سورة البقرة، الآية:258

[2] سورة النمل، الآية وقد قرأ (نافع) بفتحة طويلة في مثل (أنا أحي وأميت) (أنا آتيك به) انظر ابن يعيش، ج1/ص89 ومعجم القراءات القرآنية، ج1، ص197.

[3] سورة الحجرات، الآية 11.

وسلم: (ولا تنازعوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا)[1] وقوله تعالى: ﴿**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**﴾[2].

والأصل في ذلك (تتنابزوا) و(تتنازعوا) و(تتحاسدوا) و(تتباغضوا) ولكن اتجاه كراهة توالي الأمثال في اللغة العربية جعل حذف (تاء) التفاعل مع حركتها مستساغا هنا، وقد يحدث أن تتوالى ثلاث تاءات فيكره الذوق لاستعمالي توالي هذه التاءات الثلاث ويصبح حذف (تاء) التفاعل أمرا أكثر تفضيلا، وذلك نحو (ولا تتابعوا في الشر)[3] أصلها (تتابعوا) بثلاث تاءات فحذفت إحداهن.

ج ـ الوصل:

عندما ينطق الإنسان مجموعة كلامية مثل (خرجت من البيت) فإننا نلاحظ أن الكلمة (من) قد أدمجت أصواتها في الكلمة التي تليها، ونتج عن ذلك (تقطيعة كلامية) هي: (من البيت).

وبالتأمل في هذه التقطيعة: وموازنة الكلمتين اللتين تكونتا نرى (منْ) تنطق (مِنَ) بفتحة بعد النون، وأن الكلمة الثانية (البيت) تنطق (لْبَيْت) بدون حاجة إلى همزة الوصل، التي كانت في أولها، فقد أغنت عنها تلك الحركة التي نطقت بعد النون، ومثل هذا يحدث في كثير من الكلمات التي يتصل بعضها ببعض في النطق دون (سكتة أو وقف) أي فيما يسمى بالتقطيعات الكلامية أو الكلمات الصوتية، وتسمى هذه الظاهرة (بالوصل والاتصال) وهي تخضع لما

---

[2] سورة الأنفال، الآية 46.

[3] د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة، 1973، ص298.

يسمى في العربية (بالتخلص من التقاء الساكنين) وبملاحظتها يتبين أن لكثير من الكلمات صيغتين: إحداهما تكون في الوصل والأخرى تكون عند عدمه.

خ ـ التغيرات التكييفية أو التلاؤمية:

نذكر في هذا المجال ما قاله الأديب العربي الأندلسي (ابن شهيد) في وصية لغوية صوتية لأحد أصحابه: "إن للحروف أنسابا وقرابات، تبدو في الكلام، فإذا جاوز النسيب النسيب ومازج القريب القريب طابت الألفة وحسنت الصحبة"[1]. فابن شهيد في هذه الكلمة اليسيرة يشير إلى نظام مهم وقانون من قوانين الأصوات أدركه السابقون ودرسه المحدثون.

الاول: ذلك أن الصوتين عندما يلتقيان في الوحدة الكلامية، ويدمجان معا، فإنه يحدث نتيجة لهذا الدمج أحد أمرين: ميل إلى التماثل والتقارب بينهما.

الثاني: ميل إلى التخالف والتباعد.

والميل الأول هو ما أطلق عليه المحدثون مصطلح (المماثلة أو التماثل) أما الميل الثاني فقد أطلق عليه مصطلح (المخالفة أو التخالف).

وقد عنى علماء الأصوات بدراسة كل من هذين الميلين، حيث لاحظوا أنهما قد أخذا –في اللغات– صفة التردد والتكرر، بحيث صارا نظامين أو قانونين من أهم قوانين الأصوات.

[1] ابن بسام الأندلسي الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة مج 1،2.ط القاهرة 1358هـ

ومما يجدر الإشارة إليه: أن علماء العربية القدامى قد عرفوا هذين القانونين ولاحظوا هاتين الظاهرتين في كثير من معالجاتهم لقضايا اللغة والأصوات.

قائمة المصادر و المراجع:

1. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، الأنجلو ، ط04 ، 1999.

2. ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، (المقدمة)، نشره برجشتراسر، القاهرة، 1934.

3. ابن جني عثمان، المنصف شرح كتاب التصريف، ت إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مصر، 1954، ج1،

4. ابن جني، سر صناعة الإعراب.

5. ابن يعيش، ج1/ص89 ومعجم القراءات القرآنية، ج1.

6. إبراهيم السمرائي، فقه اللغة المقارن، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، 1978،.

7. ابن خلدون (عبد الرحمان)، المقدمة، الطبعة مصر بدون تاريخ.

8. ابن بسام الأندلسي الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة مج 1،2.ط القاهرة 1358هـ

9. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة، 1973.

10. علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، نهضة عصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط11، 2006،

11. علي عبد الواحد وافي، علم اللغة،.

12. عاطف مدكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار الثقافة للنشر 1987م،.

13. عبد الواحد وافي، علم اللغة،.

14. عبد الصبور شاهين، فصول في علم اللغة العام، مكتبة دار العلوم، ط3، 1978.

15. محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، ط4، 1970.

16. سيبويه، الكتاب، المطبعة الأمبرية، بولاق (1316هـ) ج2.

17. عمايرة إسماعيل، ظاهرة "بجد كفت" بين العربية واللغات السامية، دراسة مقارنة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد 31، 1986.

18. عبد الواحد وافي، علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،.

19. محمد مكي نصر، نهاية القول المفيد في علم التجويد، القاهرة، 1349هـ.

20. محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية.

21. Max muller. Et witney Principe d'économie. V. dauzat: philosophie du langage. Loi du mondre effort.